

كبرت وكبر حلمي معي

ثريا شرحة



حق، ولا أقول سوى كلمة الحق، لأنني لا أتردد في قولها.

في إحدى المرات دعوت أختي الكبرى للعب في دراجتينا على سطح البيت، وكنت أنا من يوجهها، كيف تسير وإلى أين، وكانت تصغي وتفعل كل ما أقوله، فجأة تقع أختي من أعلى، وينكسر أنفها، وأحد أضلاع صدرها. أبكي بحرقة كبيرة واضعة كل اللوم على نفسي، لأنني من تسببت لها بكل هذا، لا أنام كل الليل، ملححة أن أذهب لأراها في المستشفى حيث كانت مستلقية في غرفة العناية المكثفة. في صباح اليوم التالي، أرفض الذهاب إلى المدرسة، طالبة أن أرى أختي، وأعتذر لها عما شعرت بأنتي السبب فيه.

كنت دائمة الانشغال في المدرسة بتشكيل حزب يخصني من الطالبات حتى أمارس من خلالهن سيطرتي على باقي الطالبات في الصف. في أحد الأيام، حين كنت في الصف الحادي عشر، أتسبب في مشكلة في المدرسة، أطرده على أثرها من قبل المديرية، يرفض أبي أن يعيدني إلى المدرسة محرراً مما فعلت، فتضطر جدتي أن تفعل ذلك.

«إنك حسن صبي»، «إنك إلهي علمتهم لأخواتك» هذه الجمل التي اعتدت على سماعها بشكل شبه يومي من كل من هم حولي، وبخاصة أبي. كنت البنت القوية في أسرتي التي تتكون من 6 بنات وولد، كان ترتيبي الثانية بينهم، لكنني كنت الأقوى بشخصيتي التي تفرض نفسها على الآخرين، حتى بات الجميع يخاف مني، ومن ردود فعلي، ويحسبون لي ألف حساب.

كانت أختي الأكبر مني تستجد بي دائماً عندما يتعرض لها أحد، فأكون منقذتها وصاحبة الرد السريع، أخذ لها حقها وحق أخواتي الأخريات الأصغر مني حين يتعرضن لأي اعتداء ممن كان.

أشعر بقرارة نفسي أنني قوية جداً، لا أهاب أحداً، أخواتي الأصغر مني يخفن مني، على الرغم من أنهن يلجأن دائماً لي حين يحتجن لأي شيء. أبي كان دوماً يلقي اللوم عليّ في أي خطأ يرتكب في البيت، ولكن أُمِّي هي من كانت تميزني وتدعمني، وكانت تعتبرني دوماً على

سنوات حياتي، حيث شعرت بضعف تلك من وظيفتها بأنها القوية، لم أستطع مقابلة حب الأطفال لي سوى بحب مماثل، ولم أستطع أن أقابل قوتهم إلا بكل تواضع وضعف، حيث أذكر في أحد الأيام تغيبي عن العمل، ففتصل بي إحدى زميلاتي في الروضة لتقول لي إن إحدى الطفلات في صفي ترفض الدخول إلى الروضة لأنني غائبة، وقضت كل يومها تبكي وتطلبني، في اليوم الثاني تسرع إلي من بعيد وهي تكشف عن معصم يدها، وتشير لي لأنظر له، وإذا بإسمي مع رأس قلب مكتوبين بالحناء على معصم يدها، حبها أقوى من كل قوة ملكتها.

أستقبل الأطفال في صفي كل يوم بابتسامة عريضة، وأودعهم بحضن كبير، عليّ أعبر لهم عن الحب الذي أشعر به اتجاههم.

في أحد الأيام تتوجه المربيات إلى زميلة لي لتخبرها عن برنامج تدريبي في مؤسسة عبد المحسن القطان لمربيات الطفولة المبكرة، اعتذرت زميلتي بحجة أن المشوار من القدس إلى رام الله طويل، ولا تريد أن ترتبط ببرنامج

كانت مرحلة المدرسة من أجمل المراحل التي عشتها في عمري، وعندما انتهت تأثرت كثيراً، لم أرغب في ترك صديقاتي اللواتي عشت معهن أجمل أيام الطفولة والمرهقة، أفقدتهن كثيراً، بحثت عنهن كثيراً، وتساءلت لماذا يحدث الفراق دوماً بعد كل محطة فيها لقاء؟

كانت أجمل الألعاب التي ألعبها هو القيام بدور المعلمة وممارسة سلطتي على آخرين (أخواتي، أولاد الحي، أقاربي، وزميلاتي في المدرسة). كبرت واستمر حلمي معي، فقررت الالتحاق بكلية لأدرس تربية، وأحقق ما رغبت فيه دوماً.

أنهيت الكلية وتوجهت إلى التدريب العملي في المدارس، حيث تدرت في صفوف كبيرة لم أجد فيها ما يحقق رغبتني في التعليم، طلبت حينها أن أجرب التدريب عند صفوف الروضة، وفعلاً هناك وجدت نفسي، وتحقق حلمي، فقررت أن أكون فقط مربية أطفال.

عملت 3 سنوات في إحدى الرياض كانت من أجمل



المربية ثريا شرحة خلال مشاركتها في ورشة حول «الظلال»، ضمن لقاءات منتديات الطفولة المبكرة، برنامج البحث والتطوير التربوي، 2018.



اختيارها لي للمشاركة في البرنامج. ومنذ اللقاء الأول وأنا أنتظر باقي اللقاءات بلهفة طفل ينتظر الذهاب في رحلة مشوقة، متساءلة عما بجعبتهم ليقدموه لنا هذه المرة، والمرة القادمة، والتي بعدها، حتى صار «القطان» جزءاً لا يتجزأ من حياتي.

بانتسابي لبرنامج الطفولة في «القطان»، تغيرت شخصيتي كثيراً، شعرت بأنني صرت اجتماعية أكثر، تعرفت على الكثير من المربيات، وتشاركنا الكثير من المعارف والخبرات معاً، أصبحت أكثر قوة وجرأة في الوقوف والتحدث أمام عدد كبير من الناس. علاقتي بزميلاتي بالروضة أصبحت أفضل بعد أن صرت أشاركهن كل ما أتعلمه مع «القطان»، ازدادت معرفتي أكثر بأطفالي، وتنوعت طرق تعاملي معهم، شعرت بأنني أبني تعليمي من جديد، فلم أكن أعرف أهمية الخيال، وكم فيه من تعلم، ولم أعش روعة العالم الذي ينقلك إليه.

روضة نور القدس - القدس

كهذا تضطر لقطع الحاجز لتصله، أما عندما عرضت علي، فلم أتردد أبداً فكان ردي «نعم موافقة»، استغربت المديرية من موافقتي السريعة، فقلت لها أحتاج لأتعلم أكثر وأكتشف أكثر، يمكنني تدبر أمري.

كدت أصاب بالجنون خلال اللقاء الأول الذي جمعني مع فريق مؤسسة عبد المحسن القطان الذين أتعرّف عليهم للمرة الأولى، فما رأيته فاق كل توقعاتي: الحب، الاحترام، الترتيب، كل شيء يعكس صورة مؤسسة راقية بكل معنى الكلمة، استقبال رائع، ابتسامة لا تفارق الوجوه، يتحدثون إلينا وكأنهم يعرفوننا منذ زمن طويل، يتقاسمون معنا المعرفة ويشاركوننا في الخبرة، ويبدلون كل الجهود لأجل تطوير المربيات والتعليم معاً. يبذلون مجهوداً يظهر من خلال التحضيرات الكاملة التي تسبق المساق والتي تليه. شعرت براحة كبيرة لم أعدها في الدورات السابقة التي اشتركت فيها.

بعد اللقاء الأول، أرسلت رسالة لمديرتي لأشكرها على

